

العنف المتبادل بين البشر ولغاتهم

كتاب يدرس المكبوت والمقموع من اللام

ليس من السهل تحديد وتعريف اللغة: حتى علماء اللغة أنفسهم يقرون، وإن بشكل خفي أحياناً، بهجزهم عن تحديد جامع مانع للغة. هذا ما أدركه قديماً الكاتب الفذ أبو حيان التوحيدي حين قال: "إن الكلام على الكلام صعب". وهذا ما يقوله أيضاً، بأسلوب مختلف إلى حد ما، الكاتب جان جاك توسركل، في كتابه "عنف اللغة" الذي نقله إلى العربية محمد بدوي، وصدر عن "مركز دراسات الوحدة العربية"، في بيروت، إذ يرى الكاتب أن الكلام عن اللغة لا يخلو من صعوبة، لأنها "السلاح وحامل السلاح وأرض المعركة".

■ بلال.ع

اختيار الدكتور محمد بدوي ترجمة كتاب "عنف اللغة" لجان جاك لوسركل، اختيار موفق لافتقار المكتبة العربية إلى دراسات تتناول هذا الموضوع الطريف والعميق، كما أن المترجم قام بكتابة مقدمة ضافية وجيالة رابطة فحوى الكتاب بالمجالات اللغوية المهملة في تراثنا العربي، مع ما في ذلك من خسارة للناطقين بالعربية، وتكفي الإشارة إلى ما يمكن أن تقدمه مقامات الحريوي على سبيل المثال من خدمات جليلي على صعيد الإعلانات والشعارات مثلاً بدلاً من حبسها في قالبها القصصي، أو اعتبارها من الكتب التي تمثل حقبة الانحطاط اللغوي والعبث المتهاافت الذي يدنو من اللغو. عنف اللغة، عنوان ملتبس لأنه يتكلم عن شيئين وليس عن شيء واحد، فهو لا يتكلم فقط عن العنف الكامن في طبيعة اللغة، وإنما أيضاً على العنف الذي يمارسه المستعمل على اللغة، والعنف الذي تمارسه اللغة على الناطقين بها، فالإنسان يخاف من اللغة، ويخاف من الكلمات، والتفاته بسيطة إلى التوريات التي تزدهم بها كل اللغات، أو المحظورات اللغوية، تظهر أن جزءاً من هذه التوريات وهذه المحظورات ليس أكثر من محاولة قص كمشاب الكلمات المسنونة.

أصداً الكلام

ينطلق الكاتب من ملحوظة تعاني منها كل اللغات وكل الأنظمة اللغوية: أن الإنسان خشن، وفضلاً، مع لغته، خشونة وفظافة مصدرهما الحب الفائق، وفي الكتاب تفاصيل غنية عن هذا الحب، غريب الأطوار، لعشاق أو مجانين اللغة. إن علاقة الإنسان بلغته أشبه بلعبة الهر والفار، ولكن بخلاف في النتائج وهو أن لا أحده الغلبة في هذه اللعبة. فالعنف متبادل، الإنسان يمارس القمع مع لغته، يقع مفردات وتعابير وتراكيب باعتبارها إما من مظاهر الفساد وإما من الكلام الذي لا يجوز قوله والتلفظ به، فيفرض عليه صنوفاً من القيود المعيارية الصارمة، إلا أن هذا الكلام يتمرد على أغلاله وقيوده، وينتفض في شكل طرفة ساخرة من الأنظمة اللغوية أو نكتة بذيئة أو في شكل هذيان، والكاتب يدرس دراسة طريفة مجموعة من حالات "مجانين الكلام"، ومن مظاهر القمع التي يتورق خلفها حراس اللغة مفهوم الفساد، وهو مفهوم يلازم كل اللغات، ويكون بالمحصود لكل الناطقين، ولا ينجو منه حتى من لا يرى العالم إلا تحليات لغوية. والكاتب أراد أن يدرس المقموع في اللغة، وهو ما سماه بـ"المتقي"، أي بالمتروك والمهمل والمنبوذ أو المطرود من جنة الاستعمال، وحرّم المعاجم كما يشير إلى أن المتقي هو الناحية التي لا يعترف بها حراس اللغة، معتبراً أن هذا المقموع أو المهمل لا يسكت على ضيق فينال لنفسه باقتحامه حرم اللغة من باب المجاز والاستعارة واللعب على الكلام، والكاتب يعترف أن الصراعات اللغوية ما هي إلا ضرب من العنف ساحته المجتمعات البشرية والطبقات الاجتماعية. ويشير المؤلف إلى الطاقات التي تحتضنها المناطق المهملة في ميادين مختلفة.

اللعب اللغوي والاستغلال السياسي

قارىء الكتاب يدرك إلى أي حد يمكن أن تستثمر المواضيع التي يعالجها باقتدار في ميادين كثيرة، منها الإعلان، والفنون الدعاية والكاريكاتور، والفن اللغوي والنقد السياسي، وهو يقدم أمثلة كثيرة من قدرات "المتقي"، تمتاز بالطرافة والغرابية ومستقاة من الفرنسية والإنكليزية، في فترات الاحتدام السياسي والحملات



الانتخابية التي تستغل إلى أقصى حد مجالات اللعب اللغوي. كما يتناول الكاتب كتاباً كثيرين كانوا مهوسين باللغة إلى درجة مرضية. كما يشير إلى آخرين لم يفهم من هوساتهم إلا كتابة وتكليف جنونهم على الورق، أي باستخدام السرد كوسيلة علاجية لأزماتهم النفسية. ويتجلى هذا الجنون في شكل الكلمات وطريقة ترصيفها وأسلوب تفتيتها، وغير ذلك من الألاعيب وهي الألاعيب لا تعدى احتمالات اللغة نفسها، ويشير المؤلف إلى دور السرد في شفاء هؤلاء من أزماتهم النفسية.

أنظمة نحوية وليدة القمع

وحيث يتكلم عن الأنظمة اللغوية، أو ما يعرف بالنحو، فإنه يقول إن النحو المكتوب ما هو إلا نظام بشري يصصفي من الاحتمالات الكثيرة التي تحتضنها اللغة جزءاً يسيراً يسمح لها بتأسيس وتشديد النحو، والأنظمة النحوية لا يمكن لها أن تولد أو تتكون إلا عبر الإقصاء والإلغاء والقمع لعناصر لغوية كثيرة منها الصوتي والتركيبي والدلالي، كما لو أن تشديد النحو لا يقوم إلا على جثث الكلمات ورفات التراكيب، لأن اللغة كائن حي متحرك أشبه ما تكون مقرب التواني في الساعات، لا يتوقف على الإطلاق، بينما النحو هو على تقيض اللغة لأنه يقوم بعملية تجسيد للغة في لحظة ما. من هنا ينشأ صراع علم وصرام بين حراس اللغة والناطقين بها، وحتى يحافظ النحو على سرجه لا يعترف بالتغيرات التي تطرأ على اللغة، بل بدلاً من أن يعالجها معالجة موضوعية يقوم بشن حملات مسعورة على التعابير الجديدة والتركيب الغريبة الطارئة باعتبارها لحنًا أو خطأ نحويًا أو فساداً أو تدينسا يعتو جسد اللغة، وهو يرى أن اللحن ليس لحنًا بقدر ما هو إشارة صادقة ومنبئة بالاتجاه الذي تتبعه اللغة في مسارها التطوري.

الإثم اللغوي

ويرى الكاتب أن الإنسان يستمتع بارتكاب طلائم اللغويط أو ظالسفاح اللغويط، على حد قوله، لأن هذا العنف الذي يمارسه ضد تراكيبها هو الذي يضفي ويضيف إليها الحيوية. كما أن الانحراف ليس انحرافاً بالمعنى الحرفي بقدر ما هو توقع بالمصير الذي ستؤول إليه حال اللغة. ومن جملة القضايا الشيقة التي يتناولها لوسركل، صراع الكتاب مع لغتهم، أو بالأحرى مع أساليبهم، والأسلوب نمط معيّن من أنماط التعامل مع اللغة. فالكتاب، كأي

إنسان عادي، يولد وتكون اللغة بانتظاره، جاهزة، صالحة للاستعمال، إلا أنه يشعر أن هذه اللغة ليست لغته، لأنها ملوثة بأفواه الآخرين وأيديهم. إن البحث عن لغة خاصة يسبب للكاتب كاتبه والمأجدين، هذا ما شعر به الروائي الفرنسي فلوبيير حين اعتبر الكتابة وجعاً جسدياً، بل هذا ما شعر به الشاعر العربي القديم الفرزدق حين قال: قول بيت شعر أصعب عليّ من قلع ضرس. ويعتبر المؤلف أن علاقة الكاتب مع لغته تقوم على انتراعها من بصمات الآخرين أو تخلصها من النظام الصارم الذي يشبه القيود باللجوء إلى المجازات والكليات والاستعارات الجديدة، لأنها المعجلات الوحيدة التي يمكن أن يلعب بها من دون أن يتغير غضب حراس اللغة وسدنتها، وكذلك اللجوء إلى تحفيز التعابير التي فقدت صلتها بماضيها، أي إعادة الدلالات إلى عهد سابق ميت، كاستعمال معنى مجازي تأسل الصلة بحقيقته بمعناه الحقيقي.

الأحلام ودلالاتها

ويعتمد الكاتب في أماكن كثيرة على تشبيه المتقي من الكلام باللاوعي، ويقول إن أدوات درس اللاوعي يمكن أن تستخدم في دراسة المتقي من الكلام أو المنبوذ من اللغة معتمداً في ذلك على علماء نفس كثيرين أمثال فرويد في كتابه عن النكات أو لاكان في دراساته النفس لغوية، إذ يحسب ما يقول عالم اللغة المتأثر بلاكان جان كلود ميلتر ظان آليات نظام اللغة تكرار لآليات اللاوعي عند الإنسان والعكس صحيح. ولا ريب في أن ميدان الكلام والمنام من الأمور التي تضفي على أماكن لغوية كثيرة معتمة، خصوصاً أن ظلالاوعي مركّب على صورة اللغة، كما يقول المؤلف، وينظر إلى الاشتقاقات الشعبية نظرة مختلفة عن نظرة اللغويين الذين يندوها، معتبراً أن نبذها خسارة جسيمة لأنه يطمس جزءاً سخياً من علاقة الإنسان بلغته.

لا تشهر سيفك على الكلمات

ويسلط الكاتب الضوء على بعض الأمراض اللغوية وبعض أنواع العنف الذي تمارسه اللغة على الناس، خصوصاً الذين يعانون من النيهان، ويحكى لنا الكاتب عن الصعوبات والمشقات التي يعيشها من لا يستطيع أن يميّز في اللغة بين التعابير المجازية والحقيقية ويتعامل مع كل التعابير على أنها حقائق. ويظهر كيف أن هؤلاء المرضى يذهبون ضحايا هذا المرض الفتاك. ويقول الكاتب إن هذا العرض مسألة نفسية لكنه لا يتجلى إلا عبر اللغة، وهو يربط اللغة بالجسد، ويظهر أثر الكلمة على الجسد من حيث التغيرات التي تتركها الكلمات على الجسد، كالكلمات التي تخرج من فم ساحر في مناطق من العالم لا يزال للسحر فيها مفعوله، أو الكلمات التي "تخدش" الحياء أو "تجرح" مشاعر الناس، هذا الخدش أو الجرح ليس مجرد تعبير مجازي، أو تعبير عن واقع اجتماعي متفرّض، إذ تلحظ تبدلات لون الوجه إلى الاحمرار لدى سماع بعض الكلمات التي تثير الخجل، وهذا الاحمرار ليس بالتأكيد مجازاً من عالم الألوان. إن الكاتب خلال رحلته في عالم المهمل من الكلام والتراكيب لغت النظر إلى ضرورة التعامل بصدر رحب مع كل التحليات اللغوية، كما أظهر الغني الذي تمتاز به هذه البقايا المكتوبة أو المقموعة، معتبراً أن دارس "المتقي" يُجبل النظر في اللغة ككل، ولا يسقط منها شيئاً، إذ ليس من وظيفة عالم اللغة أن يدخل إلى رحابها التاسعة شاعر أسيفه على الكلمات والتعابير ليمارس سادياً أن يكون، في الأخير، لإحداً من ضحاياها.

كتب

"من الجبر حتى السكر"



● بدلاً من الحديث

عما يسمى "صدام الحضارات" فضل الباحث الألماني أندرياس أونغر

التحدث عن تضاعل

الثقافات وتلاقحها.

كتابه الجميل عن

الكلمات العربية في

اللغة الألمانية،

الصادر حديثاً عن

دار "ريكلام" في

شونونغارت بعنوان

"من الجبر حتى

السكر"، يأخذ القارئ

في رحلة شيقة

وممنعة عبر القرون

والحضارات، مبيّناً

الطريق التي سلكتها

هذه الكلمة أو تلك

حتى وصلت في

شكلها الحالي إلى

لغة غوته وكافكا

وتوماس مان.

طبقاً لأحكام المادة 43 الفقرة 2 للمرسوم الرئاسي رقم 250/2 المؤرخ بتاريخ 2003/09/11 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، تعلن مديرية البيئة لولاية غرداية عن إلغاء المنح المؤقت للصفقة الخاصة باقتناء تجهيزات لمركز الردم التقني لمدينة غرداية والتي منحها سابقاً إلى المتعهدين التاليين:

حصة رقم 1 محملة خليفة

حصة رقم 2 محمل

حصة رقم 3 عرية بصندوق قلاب للنكديس

حصة رقم 5 شاحنة Ampei roul

Bergerat mouneyeur

SARL kNVVIBAC

صناديق كبيرة للتفايات

وسيتهم الإعلان عن مناقصة المشروع لاحقاً.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة تهيئة الإقليم والبيئة والسياحة

مديرية البيئة لولاية غرداية

إعلان عن إلغاء

المنح المؤقت للصفقة

يستعرض أهم العقبات التي تواجه إطلاق العناوين في الجزائر

المداني يسلط الضوء على الصحافة المستقلة

أصدرت منشورات الخبر أخيراً كتاب الصحافة المستقلة في الجزائر - التجربة من الداخل للصحفي محمد المداني.

■ الوكالات

● يشير المؤلف في مقدمته بأنه لا يريد إصدار أحكام عشوائية على أحد لأنه ليس من اختصاصه، مشدداً على أنه يريد فقط التأكيد بأن الصحافة التي يراها القارئ من بعيد، من خلال ما يطلعه من مقالات، ويلمسه من صفحات، ليست هي المرأة الحقيقية لعالم الصحافة البراق والمبهور.

ويتناول المؤلف الكتاب من خلال تجربته في الصحافة الجزائرية التي انتهت به إلى رئاسة القسم الدولي ليومية الخبر قبل أن ينتقل إلى الإقامة في كندا. ويحاول محمد المداني أن يضع القارئ في صورة العلاقة بين الصحفي والمسؤول وهي علاقة مليئة بالكثير من الغموض، واللامبالاة في كثير من الأحيان، والسبب في اعتقاده يعود إلى انعدام التواصل بين الطرفين، وإلى تعامل قومي يجعلها دائماً مشحونة وملينة بالغضب.

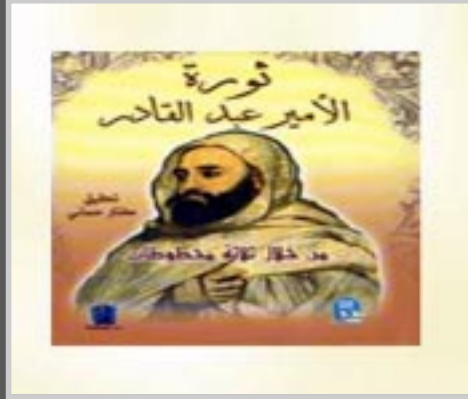
والكتاب مقسم إلى جزئين، خصص الأول لتنظيم الصحافة المستقلة، وتناول فيه المؤلف مراحل التأسيس وما أحاط بها من تحرير عبر المراسم والقوانين، أما الجزء الثاني فخصه لتأسيس وإدارة صحفية، وقد استوحاه من رحمة تجربته الخاصة، وخاض عبره أساساً أهم العقبات التي تواجه إطلاق العناوين الصحفية في الجزائر.



"ثورة الأمير عبد القادر" دفاع ملء أهداف مؤسس الدولة الجزائرية

يتمحور كتاب "ثورة الأمير عبد القادر" الصادر عن دار الحكمة للمؤلف مختار حساني حول شخصية الأمير من حيث أنها عرفت تضارياً في الآراء والمواقف، وقد اعتمد الكاتب في تحليل ذلك على ثلاث مخطوطات أرخت للفترة التاريخية التي عاشتها هذه الشخصية.

الباحث من مقارنة بين ما ورد في الكتابين، وذلك إلى جانب رسالة الأمير محمد سعيد رفيق عبد القادر بن محي الدين التي يستعرض فيها الصعوبات والمشاكل التي كانت تواجه القائد في مسيرته الكفاحية ضد المستعمر الفرنسي، وعلى مدى 230 صفحة استعرض الكاتب مجموعة معتبرة من الرسائل القصيرة التي كانت متداولة في فترة مقاومة الأمير عبد القادر والتي تؤرخ لحوار متناسق تارة ومتعارض تارة أخرى.



● تضمنت هذه المخطوطات التي استخلص منها الكاتب بعض الأحكام مجموعة من النصوص التاريخية التي عاصرت مقاومة الأمير والتي تعتبر رسائل حملت مواقف المعارضين لسياسة ابن محي الدين وأخرى موالية لقراراته في بعض القضايا المتأثرة إبان مسيرة محاربه للمستعمر الفرنسي.

وقد ركز الكاتب من خلال مؤلفه على رسالة المشرفي التي تحمل في طياتها اتهامات لشخصية الأمير عبد القادر وقادته وسياسته، خاصة وأنها قدمت أوصافاً لا تليق بشخصية الأمير ومركزه وأهدافه في الدفاع عن الحرية والعدالة للجزائريين.

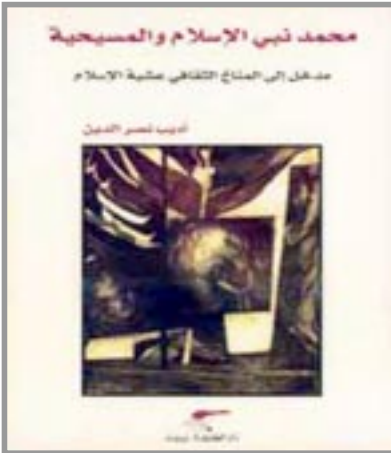
وقد انتقد المشرفي الأمير عبد القادر في نقطتين أساسيتين هما قضية الزكاة، وقضية المتعاونين مع الاستعمار الذين اتهمهم الأمير عبد القادر بالممرتدين، وأجاز على إثر ذلك محاربتهم. ويقول صاحب الكتاب إن الغاية من عرض هذه الرسالة متبوعة بنشر رسالة التسولي التي جاءت مدافعة عن الأمير عبد القادر ومؤيدة لسياسته الباقية عن عدالة لكل الجزائريين هي تمكين

تحت عنوان "محمد نبي الإسلام والمسيحية"

المنافح العربي

في زمن الدعوة المحمدية

يدور كتاب "محمد نبي الإسلام والمسيحية" لمؤلفه أديب نصر الدين، والذي أصدرته دار الطليعة ببيروت حول المنافح الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يحاول الكاتب من خلال مؤلفه هذا إعادة قراءة وتحليل التاريخ مبرزاً أهم جوانب المجتمع العربي بدء من ظهور الدعوة.



■ س.م

● ولعل أكثر الأبعاد التي تظهر جلية في هذا الكتاب، والتي تختصر مؤشرات المجتمع العربي في تلك الحقبة التاريخية، التي ارتبطت بحقب أخرى هامة تلتها لتشكّل موروثاً ثقافياً وحضارياً يختصر رسالة واحدة.

وحتى يبسط الكاتب أفكاره قسم الكتاب إلى عدة فصول يتقدمها فصل أول تحت عنوان "ساحة حضارية واحدة" وهو يتناول وبروز الممالك العربية، الانتماء بين القبلي والقومي، سقوط دور الإمارات العربية، مكة وريثة اليمن، القدرة الصناعية، الاهتمام بالزراعة، عصر المتغيرات، الوحدة والفرقة.

أما الفصل الثاني من الكتاب والذي جاء تحت عنوان "المنافح الثقافي عشية بعث محمد صلى الله عليه وسلم"، فقد اشتمل على الموضوعات الآتية: الإعجاز اللغوي "اللغة العربية أداة صالحة لتبليغ الرسالة"، تشابيه وصور بنت البيئة، جمالية اللغة، حلاوة القول، فنون اللغة الأخرى، تدوين القرآن الكريم، العلوم والمعارف ووسائلها: "المعارف النفسية والتاريخية والجغرافية والطبية والفقهية والقانونية".

كما خصص المؤلف الفصل الثالث والذي اختار له عنوان "التحديات التي واجهت العرب" للحديث عن كل من بيزنطة وفارس في القرن السادس للميلاد، والتحديات الداخلية التي كانت تواجهها.

وفي الفصل الرابع من الكتاب تطرق الكاتب إلى عدة مفاهيم ظهرت بظهور الرسالة المحمدية وهي النبوة، التوحيد، ودور مكة السياسي، الفصل الخامس "النصرانية في الجزيرة العربية" ويناقش المسيحية الشرقية قومية بامتياز، النظرية الوطنية في الجزيرة العربية، والأحزاب النصرانية.

وقال لي: إن الأسماء كلها في أسمائي، وليس أسمائي في الأسماء، القفري

تفسير الأسماء

نزار قباني

"الجريدة" احترقت!

ظل المعاصف،

والمصاحف

ثم يعد حالة تدعيها الجهات ..

كيف نخرج الظل من زمزم البيجات؟

كيف تصعد إلى برج القواية دون موت؟

كيف تحذرنا الأحلام من قهر السبات

ثم يعد يهيجنا الكلام المحلى؟

ثم يعد يقنعنا "الرسم بالكلمات"

أدونيس

لماذا نخرج من خصل اللغة؟

لماذا ندخل في نفض الأناشيد؟

القصيدة يا صاحبي لم تعد مأوى القريب!!



■ عبد الحميد شكيل

وختم المؤلف كتابه بفصل سادس يحمل عنوان "محمد رسول الأرض والسما" حيث عدد فيه مناقب وصفات النبي، النسب والثقافة، عبد المطلب يرعى محمداً، أبو طالب يكفل محمداً، السيدة خديجة، ورقة بن نوفل، فصاحة محمد، ثقافة محمد، السير النبوية بين الموضوعية والشطط.